المشرق

نُبذَة

في نسبة ليتورجيَّة القديس يعقوب اليه

لحضرة المنوري الفاضل جدعون الوسي بمصر

ان الليتورجيَّة المعروفة بليتورجيَّة القديس يعقوب يوجد منها نسخة يونانيَّة ونسخة سريانيَّة تختلف احداهما عن الاخرى في الجزء الاوَّل اختلافاً عظيماً وتتَّفقان اتفاقاً غير تامّ بالاناقورا (١ امَّا النسخة اليونانيَّة فقد بطل استعمالها من عهد بعيد ولم تُعُدْ تُتلى الَّا مرَّةً واحدة في السنة في الكنيسة الاورشليميَّة وفي جزيرة زنطيا (٢ نهار عيد القديس يعقوب الرسول اوَّل الاساقفة على المدينة المقدَّسة اورشليم. واماً السريانيَّة فلم يزل السريان الكاثوليك والغير الكاثوليك والموارنة محافظين عليها في كتبهم الطقسيَّة ولا يتلونها الَّا نادراً. المقرَّر لدى جميع العلماء انَّ ليتورجيَّة القديس يعقوب هي ليتورجيَّة الكنيسة الاورشليميَّة كما يتَّضح ذلك من نصّ هذه الليتورجية عند اليوناني والسرياني (٣

---

١) اناقورا او ناقور من اليونانيَّة (ἀναφορά) وتعني الذبيحة او القربان او التقدمة . وتعني هنا ترتيب صلوات الذبيحة الالهيَّة من حين يُعلن الدياكن: «Ὀπίσωμεν καλῶς .... τὴν ἁγίαν» الى التاول . ويقابلها عند اللاتين ما يدعونهُ (قانون القداس Canon Missæ) «ἀναφορὰν ἐν εἰρήνῃ προσφέρειν»

٢) وقد منح متأخراً البطريرك اجازة تلاوتها لكل اليونان . راجع جريدة الحقيقة الكنسيَّة (Ἐκκλ. Ἀλήθ.) سنة ١٩٠١ ص ٢٢٣

٣) في الذكرانية من بعد استدعاء الروح القدس يصلي الكاهن مبتدئاً بذكر الكنيسة

ومن المخطوطات والتاريخ والآثار الكنسية . واما المختلف عليه لاسيما بين الشرقيين فأية النسختين اقدم وهو اهم اختلافهم

ولما كانت نتيجة كلا الرأيين متوقفة على حقيقة او عدم حقيقة ما هو شائع من ان القديس يعقوب الرسول نفسهُ خطَّ هذه الليتورجية وسلَّمها الى كنيسته الاورشليمية احببنا ان نفيد قرَّاء مجلَّة المشرق القرَّاء ما توصَّلنا اليه من البحث في هذا الشأن فكتبنا هذا الفصل في نسبة ليتورجية القديس يعقوب اليه . هذا واذا رأينا بحثنا هذا قد نال شرف القبول لدى القرَّاء الكرام واصلناهم بغيره مما لهُ اهمية كبرى في تاريخ الطقوس القديمة او لهُ علاقة فيها فنقول :

١

انَّ اوَّل من ذكر ليتورجية القديس يعقوب بهذا الاسم في التاريخ هو المجمع الترلَّاني سنة ٦٩٢ في قانونهِ الثاني والثلثين ثم ذُكرت في القرن الثامن في احد المخطوطات من مكتبة برينني في رومية هكذا : « صلاة تُتلى في الديا كونيكون بعد الليتورجية الالهية التي للقديس يعقوب (١ » . ومن بعد القرن الثامن فقط يتكرَّر ذكرها تحت هذا العنوان في مخطوطات عديدة شرقية وغربية سريانية ويونانية . وعند بعض المؤلفين من بعد القرن الثاني عشر فقط

فلا ريب ان هذه الشهادات لا تفيدنا شيئاً لانها حديثة واقدمها يتأخر عن الرسل بسبعة قرون . وقبل هذا لا نرى البتَّة نصًّا ذُكرت فيه بهذا العنوان . لا بل لدينا نصوص وشهادات مضادَّة

الاورشليمية هكذا : « تقدَّم لك ايها السيد لاجل اماكنك المقدَّسة التي مجَّدتها بظهور مسيحك الالهي وبانحدار روحك الكلي قدسهُ خاصَّة لاجل صهيون المقدَّسة الحميدة أُمّ جميع الكنائس ولاجل كنيستك الممتدَّة في كل المسكونة المقدَّسة الجامعة الرسولية ثروةَ ومواهب روحك الصالح امنحها ايها السيد » . وبعد ذلك يذكر الآباء القديسين والاساقفة وكنيستي مدينة الله (اي انطاكية) والحاضرة . اما النسخة السريانية فهي اكثر وضوحاً : « انا نتقدَّم لك ايها السيد هذه الذبيحة نفسها النير الدمويَّة لاجل اماكنك هذه المقدَّسة . . . » وعلى كلّ انَّ تقدُّم ذكر الكنيسة الصهيونيَّة والاماكن المقدَّسة على سائر الذكر اثبات هو دليل كافٍ لما نريد اثباتهُ في هذا الموضع

(١ Εὐχὴ λεγομένη ἐν τῇ διακονικῇ μετὰ τὴν θείαν λειτουργίαν τοῦ Ἁγίου Ἰακώβου. *Barberini*, MS. III, 55. p. 518

فقد شرح اوسابيوس (١ شرحاً كافياً عن الكتب المقدسة القانونية والكتب التي كان المسيحيون يعتبرونها مزوَّرة والكتب المشكوك في صحتها ولا ذكر لهذه الليتورجية لا بين الكتب القانونية ولا بين المزوَّرة ولا بين المشكوك فيها . وكانت لاوسابيوس هذا رئيس اساقفة قيصريَّة فلسطين السلطة الدينيَّة على نصارى اورشليم بصفة كونها كرسيًا اسقفيًا من الكراسي المنوطة به ومن ثمَّ فانهُ فضلًا عن معارفهِ الواسعة في التاريخ والامور الكنسية كان اولى من غيرهِ بمعرفة اعتقاد الكنيسة الاورشليمية بتقاليدها وليتورجيتها

ومثلهُ ايضاً وقبلهُ اوريجانوس الشهير الذي قضى سنينَ عديدة في فلسطين في منتصف القرن الثالث فكأنهُ لم يعثر البتَّة بوجود كتاب طقسيّ للقديس يعقوب

وقال القديس ايرونيموس عن رسالة القديس يعقوب الجامعة انهُ لا يوجد لهذا الرسول تأليف سواها (٢ فبقولهِ هذا قطع بعدم صحَّة باقي التآليف التي باسمهِ . ومن المعلوم انَّ القديس العلَّامة ايرونيموس هو اشهر من كتب عن قانونيَّة تآليف الرسل في القرنين الرابع والخامس . وقد عاش وكتب في بيت لحم بقرب اورشليم نفسها . فلو كان مسيحيُّو تلك المدينة في عصرهِ يعتقدون بانتماء ليتورجيَّتهم الى الرسل فلمَ لم يذكرها مع رسالتهِ ولو كانت معنونة باسمهِ فلمَ لم يذكرها على الاقلّ بين الكتب التزويريَّة المنسوبة لهُ

وقد رفض ايضاً البابا انوشنسيوس الاوَّل جميع الكتب المنسوبة للقديس يعقوب ما عدا رسالتهُ الجامعة (٣ وكذلك جميع الجامع والآباء القديسين الذين تكلَّموا في هذا الموضوع من زمن الرسل الى اواخر القرن السابع فانهم بدون استثناء لم يُجروا ذكر هذه الليتورجية لا بين الكتب القانونية ولا بين المزورة . فلا جرم انَّ في ذلك لدليلًا واضحاً على انهُ لم تكن تُعرف في القرون [illegible] حينئذٍ للقديس يعقوب بينما كان الجميع يعرفون ليتورجيةَ وطقوساً اورشليمية

٢

بل انهُ لم يكن في اوَّل الامر ليتورجية تعتبرها الكنيسة لاحد الرسل . وذلك لان

---

١) اوسابيوس: التاريخ الكنسي (ك ٢ ف ١٩)

٢) Tillemont: *Mém. pr. servir à l'hist. écc.* راجع تيلمون — Hier.: *de Vir. Illustr.*, c. 2. I. p. 382

٣) في رسالتهِ ٣٠ ف ٢٢

الرسل لم يكتبوا شيئاً من الطقوس خارجاً عما في الكتب المقدَّسة والَّا لمَّت الاعصر الحالية باعلان اسراره وما ضنَّت باظهار آثاره فانها قد سلَّمتنا بين الكتب القانونية اقلّ من هذا اهمية كرسالات القديس يوحنَّا الحبيب أفما كان الأَولى بان تُطرفنا بتآليف كهذه تتعلَّق بالذبيحة الالهية (١

ثمَّ اذا تصفَّحنا اقدم الآثار الطقسية في الكنيسة رأينا ان الطقوس لم تكن مقيَّدة بنصٍّ واحدٍ بسيطٍ بل انها لم تُرقَ قط على القرطاس قبل اواخر القرن الرابع (ومنهم من قال قبل اوائل القرن الخامس) لانَّ الكنيسة كانت قبل هذا تتحاشى تسطير ليتورجيتها واسرارها خوفاً من ان تتداولها ايدي الوثنيين (٢

---

١) ترى ان الآباء كانوا يحترمون الشذرات التقويَّة والطقسيَّة التي وصلت اليهم باسم الرسل ما كتبهُ اناس قريبو العهد من ايَّام الرسل لا الرسل انفسهم مثل « تسليم الرسل » و « ارشادات الرسل ». ويستشهدون بها ويحافظون عليها. فلماذا لا نراهم يأتون بذكر القديس يعقوب فيما يختصّ بسرّ الافخارستيَّا اذا كانت هذه الليتورجية معروفة منهم بهذا الاسم ؟

٢) كانت الكنيسة في الاربعة القرون الاولى تتحاشى اظهار سرّ الافخارستيَّا الى غير المسيحيين حرصاً على مقام هذا السرّ الالهي الفائق الادراك وائتماناً بقول المسيح : « لا تلقوا جواهركم قدَّام الخنازير » وخوفاً من الوثنيين الذين كانوا يتهمونهم بذبح اولاد صغار في جمعيَّاتهم الدينيَّة . وكان اخفاء هذا السرّ فرضاً محتوماً على كل مسيحيّ وهو المعروف بفرض السرّ (disciplina arcani) (راجع المعجم اللاهوتي لقاكانت ص ١٧٣٨) ولذا كان الموعوظون انفسهم محرومين من معرفته. واذا اقتضى الامر ان يخطب الاساقفة على رعيَّتهم بحضور الموعوظين كانوا يلمّحون الى الذبيحة الالهيَّة تلميحاً رمزيّاً خفيّاً يدركهُ فقط من كان عالماً به . (راجع خطب القديس كيرلس الاورشليمي ويوحنَّا فم الذهب حيث تُكرَّر هذه العبارة : « يعرف المؤمنون » راجع ايضاً رحلة سيلفيا — كيرلس الاورشليمي في مجموع الآباء اليونان لمين مجلد ٣٣ ص ٣٤١ — والكاتشيز السادسة : ٣٩ مجلد ٣٣ ص ٥٨٩ — وكتاب يوحنَّا فم الذهب : عن غموض النبوَّة ٣ : ٥ — وعن سفر التكوين الميمر ٢٧ : ٨ مجموع مين : م ٥٣ ص ٣٥١ — وللمزمعين على الاستنارة الميمر الاوَّل : ١ مين : م ٤٩ ص ٢٢٤ الخ الخ) ولما كانت تقام الذبيحة الالهيَّة كان الدياكن قبل نقل التقدمات الى الهيكل يأمر بخروج الموعوظين وغير المستحقين ويحرّض المسيحيين ان يتعرَّف بعضهم ببعض لئلَّا يبقى احدٌ غريباً عنهم (ليتورجية القديس يعقوب اليونانيَّة والليتورجيَّة الاكليمنتيَّة) . وكانوا يقفلون الابواب عليهم ويضعون عليها حراساً دياكنة وشمامسة فيمنعون الدخول وقت الذبيحة لكل آتٍ ولو مسيحياً (الليتورجيَّة الاكليمنتيَّة قبل الانافورا — القوانين الكنسيَّة منذ لاجارد (Can. Eccl. Sahid. c. 64) : الآثار المصريَّة (Lagarde: *Aegypt.* p. 75) وعند بريتان : (Brightman *Eccl. liturgies*, Oxf. 1896) ص ٤٦١) — الا ترى صدًى لهذه المحافظة الغريبة حتَّى الى

فانَّ بولس الرسول اكتفى ان يقول للكورنتيين بهذا الخصوص (١ كو ١١: ٢): « اني امدحكم . . . لانكم تحافظون على التقاليد كما سلَّمتها اليكم ». وقال لهم ايضاً عن اجتماعاتهم (١ كو ١١: ٣٤): « اذن يا اخوتي متى اجتمعتم للطعام فلينظر بعضكم بعضاً: واذا جاع احد فليأكل في البيت لئلَّا يكون اجتماعكم للدينونة . اما ما بقي فسأرتبهُ متى قدمت اليكم . » فلا شكَّ انهُ يتكلَّم هنا عن السنكسيس التي كان وقتئذٍ يتقدَّمها تناول الطعام الاخوي (Agapes) فتكلَّم عن هذا بحريَّة واما مسألة الذبيحة فاحتذر التكلُّم عنها كتابةً مُرجئاً ذلك الى حين حضورهِ اليهم . وقد استمرَّ هذا التحفُّظ عند خلفاء الرسل الى القرن الخامس حيث انَّ البابا انوشنسيوس الاوَّل يجيب على سؤال طقسي أُلقاهُ اليهِ راكنسيوس اسقف اغوبيو انهُ لا يجوز تسطير ذلك ولا يستطيعهُ فاذا حضر اليهِ فحينئذٍ يفيدهُ عمَّا يجب حفظهُ « لئلَّا اذا روى الالفاظ الطقسيَّة اليهِ كتابةً يغدو خائناً بدل ان يفيدهُ عن سؤالهِ » ويؤيد هذا كتاب الاِيرَركية الكنسيَّة المنسوب الى ديونيسيوس الاريوباجي . وهو من القرن الرابع على رأي القوم وهذا الكتاب وان موضوعاً يدلُّ على حال الافكار حين تسطيره فنقرأ فيهِ (ف ٢) « انَّ الاسرار لا تُنشر ولا يجوز معرفتها التامَّة لسوى ارباب الكهنوت ولا تُسلَّم الَّا باحتراس ». ثمَّ انه يتكلَّم (ف ٣) عن الذكرانيَّات وغيرها واما الذبيحة فانهُ يحترس كل الاحتراس من ذكرها مما يدلُّ بكفايةٍ على عدم جواز كتابة شيء منها.

وقد افادنا ترتليانس ان صور وكيفيَّة توزيع الاسرار لم تأتنا بالكتابة بل بالتقليد الرسولي (١)

ولو عرف القديس كيريانس بوجود ليتورجيَّة مكتوبة لكان ولا بدَّ استشهد بها في مقالتهِ ضدَّ الذين كانوا على زمانهِ يحرِّمون الخمر في الذبيحة كما استشهد السيتودس

ايأمنا هذه في الطقوس اليونانيَّة الحريصة على كل قديم حيث يعلم الدياكن سراراً : ايها الموعظون اخرجوا . . لا يلبث احد من الموعظين . . . الابواب الابواب » (ليتورجيات يوحنَّا وباسيليوس وغريغوريوس) فاذا كان احتراس الكنيسة في هذا الموضوع بهذه المثابة من الشدَّة فهل من الممكن ان تكون عرضت سرَّها الثمين للافشاء بايداعه الكتب ؟ وهل يصدَّق القول بان المسيحيين كانوا في الاعصر الاولى يخطُّون وينسخون طقس الذبيحة الالهيَّة دون ان يلوح لنا ذكر ذلك في نصٍّ صريح بين تآليف الآباء القديمة ؟

١) ترتليانس: عن تاج الجنود ٣ و ٤

الترُّلاني بليتورجيتي يعقوب وباسيليوس ضدّ الغريغوريين الذين لم يمزجوا الخمر ماء في آخر القرن السابع

ثم انهُ لمَّا اراد الامبراطور الوثني ديوكليسيانس ان يفني كتب المسيحيين واوانيَ كنائسهم خاف عقابهُ بعض الاساقفة وسلّموه الاواني وحدها قائلين « ان الكتب المقدّسة ليست عندنا بل عند القارئ » ومن المعلوم ان القارئ كان محافظاً على الكتب المقدّسة فقط التي كان مختصاً بقراءتها في الكنيسة. واما كتب الليتورجيّة فلو كانت في الوجود لكان وُجد منها عند الاساقفة والكهنة مع الاواني المقدّسة المختص استعمالها بهم (١ فاذًا لم يكن في الكنائس غير كتب القارئ اي الكتب المقدّسة

وقد قال القديس باسيليوس الكبير: « ان الرسل وباقي ائمّة المسيحيين الذين رتّبوا ونظموا بادئ بدء ما يجب حفظهُ في اسرارنا حافظوا على الاحترام الواجب لها فأبقوها مكتومة ولم ينشروها (٢. وقال ايضاً: « مَن من القديسين ترك لنا بالكتابة الفاظ الاستدعاء لتكريس خبز الافخارستيا وكأس البركة ؟ لاننا لا نكتفي بالالفاظ المذكورة في الرسول والانجيل بل نضيف اليها قبل وبعد ما لهُ قوّة كبرى لاجل السرّ وهو مما اتصل الينا بواسطة التعليم الغير المسطَّر (٣ ». يا ليت شعري هل من شهادة اصرح من هذه ؟ . . .

وعليه كان الاكليروس يتعلّمون طقوس الاسرار والذبيحة غيباً ولنا دلائل على الزام الاساقفة والكهنة بهذا الامر حتى في القرون التالية لكتابة الكتب الطقسيّة. منها شريعة الملك يُستينيانس سنة ٥٤١ حيث يتشكّى من بعض الاساقفة « الذين لا يعرفون غيباً حتى قس صلاة الذبيحة المقدّسة وذلت صلاة المعموديّة (٤

ومما يزيد بياناً امر كم طقوس الذبيحة وعدم تسطيرها انَّ الكنيسة لم تكن تأذن

---

١) طالع تاريخ بارونيوس في تاريخ سنة ٣٠٣ عدد ٧ و ١١

٢) باسيليوس : من الروح القدس ٢٧ : ٦٦ طالع له برون (Le Brun) تفسير الليتورجيّة المطبوع في باريس ١٧٧٧ مجلد ٣ ص ١١ و ٨ ص ١٩٥

٣) (ἐκ τῆς ἀγράφου διδασκαλίας παραλαβόντες) في الموضع نفسهُ

٤) الشرائع الجديدة (Novell.) ٢٧. وهذه العادة كانت اجباريّة في الكنائس النائية الى القرن التاسع. في مراسيم ريكولف اسقف سواسون سنة ٨٨٩ نرى ما تعريبهُ : « يجب على الكاهن ان يحفظ غيباً وبتدقيق اناقورا القدّاس بحرفهِ » (راجع له برون : ٣ : ص ٣٠)

اذ ذاك بتسطير قانون الايمان المسيحيّ نفسهِ. فقد قال القديس ايرونيموس: « ان دستور ايماننا ورجائنا قد اتانا من الرسل ولكنَّهُ لا يُسطَّرُ بمدادٍ ولا على طِرس »(١. وقال القديس اغوسطينوس في خطبتهِ عن السينكسيس الى الموعوظين: « تقولون يوميًّا فيما بينكم لِمَ لم يُسطِّر احد قانون الايمان بالكتابة لنقدر ان نقرأهُ. ولكن... فلتكن لكم الذاكرة بمقام الكتاب »

ولقد كان في وسعنا ان نفيض في بيان شهادات أُخر غير اننا وددنا الاكتفاء بالتي اوردناها لانها غاية في الوضوح سيَّما وانها لاعظم الآباء واعرقهم في القِدَم والعلم والشهرة وابينُ هذه الشهادات لرؤساء اساقفة شرقيين وهم اولى من غيرهم بمعرفة تقاليد وتعاليم كنائسهم. فنختمها بتكرار شهادة احد البابوات العظام اوشنيوس الاوَّل الذي كان يُعِدّ خائنًا من خطَّ بيدهِ ولو كلمةً من الصلوات السرّيَّة (٢ ذلك في اوائل القرن الخامس حيث انتشرت الديانة المسيحية في العالم ولم يبقَ من الاسباب المارّ ذكرها ما يوجب على المسيحيين زيادة التحفُّظ في اخفاء اسرارهم. فما الظنّ بما كان قبلًا؟

٣

وزد على ذلك انَّ رؤساء الكهنة في بادئ تلك الاعصر كان المرجع الاعلى في الامور الطقسيَّة اليهم في كنائسهم. فكان يُباح لهم ان يرتّبوا الطقوس حسب مرامهم وينشدوا الابتهالات والصلوات حسب إلهامهم الوقتي مع المحافظة على التقاليد الجوهريَّة ومواضيع الصلوات ومعانيها. وهذا القول يُستنتج ضرورةً من بعض النصوص الصريحة. منها ما قالهُ القديس يُستينس الشهيد (وهو اقدم مَن كتب من آباء المسيحيين من بعد الرسل) فهاك تعريبهُ بالحرف: « وعند فراغنا من الصلاة (٣ يرفع

---

١) في رسالتهِ الى پمأكيوس

٢) راجع ص٦٧٩ حاشية ٢

٣) الصلاة المذكورة هنا اولًا ليست الّا القسم الاوَّل من الليتورجيَّة الذي ندعوهُ ليتورجيَّة الموعوظين وهو مركَّب من قراءة الكتب المقدَّسة والاناشيد الزبوريَّة والصلوات والطلبات الطويلة عقب الانجيل وهي التي يقصدها هنا الشهيد المجيد بنوع خاصّ وكانت اطول ممَّا هي الان حيث كان يتبع الصلوات الثلث على المسيحيين طلبةٌ وصلاة على الموعوظين وطلبة وصلاة على التائبين وكانوا جلوا ربًّا وطلبة وصلاة على البرّيين من الارواح النجسة وطلبة وصلاة على المزمعين على الاستنارة. وقد

بخبز وخمر وماء. واذ ذاك يرفع المتقدّم (اعني به الاسقف) صلوات وشكران حسب قدرته (ὅση δύναμις αὐτῷ) ويجيب الشعب مستحسناً قائلاً امين (١ »

وكذلك ما اتى في سفر تعليم الرسل الاثني عشر (٢ وفي كتاب مراسيم الرسل (٣ من ان رئيس الكهنة لم يكن مقيّداً بنصّ ليتورجي. وتؤيده مقابلة الليتورجيات نفسها القديمة المختلفة لفظاً المتّفقة ترتيباً ومعنى ولذا كان لكل كنيسة خصوصيّاتها والأفكيف يُنكَر اختلاف الطقوس العديدة وقبول الكنيسة ميا أُدخل مع الزمن في طقوسها من

حافظت الكنيسة اليونانيّة الى ايّامنا هذه على الطلبة الطويلة وطلبة وصلاة الموعوظين وصلاة وطلبة المستدّين للاستنارة في الصوم الكبير ثم صلوات المؤمنين الثلث ذلك قبل نقل التقادم على المذبح (راجع مراسيم الرسل ك ٨ ف ٥ والقوانين الكنسيّة عند لاجارد ف ٦٤ ص ٢٧٤ وما يليها. ورحلة سيليا ٥٦ ورسالة يعقوب الرهاوي الى القسيس توما عند السمعاني: المكتبة الشرقيّة ١: ٤٧٩ وما يليها عند برايتمان ص ٤٩٠)

١) راجع Justin., *Apol.* I. 67

٢) « Διδαχὴ τῶν δώδεκα Ἀποστόλων » وهو اقدم تأليف طقسي من بعد الكتب المقدّسة كتبهُ احد اليهود المتنصرين من اورشليم او من نواحيها لاستعمال العباد الخاصّ ولاسيّما لاجل افادة الناوفيط اي الحديثي العمادة بين سنة ٧٠ و٨٠ للمسيح ومنهم من جعل كتابتهُ بين ٧٠ و ١١٠ (راجع المعجم اللاهوتي ص ١٦٨٢ وما يليها) وكان لهذا الكتيّب كما رأينا شأن عظيم عند الآباء القديسين لقدمهِ وقربهِ لزمن الرسل. ولنا بهِ شهادة واضحة لما نحن بصددهِ حيث نرى بهِ الصلوات مسنونة بالبريكا الآتية: (τοιάδε) اي يُتلى صلاة كهذه. ويعطى ايضاً بهِ للانبياء (وهي احدى الرتب التي ذكرها بولس الرسول في رسائلهِ) « ان يشكروا كما يشاؤون وقدر ما يرغبون » (ف ١٠)

٣) (Διαταγαὶ τῶν Ἀποστόλων) خُطَّ بنواحي انطاكية بين اواخر القرن الرابع واوائل الخامس واجمع علماء عصرنا ان الكاتب الذي نسب زوراً بعض رسالات للقديس اغناطيوس الشهيد وصف لنا كيفية اجتماعات المسيحيين في تلك الاعصر وحالة طقوسهم وهذا الاثر وان لم يكن للقديس اغناطيوس فانهُ قديم. ففي الليتورجية التي يتضمّنها هذا الكتاب نرى الصلوات غير مقيّدة وتشير الى ذلك البريكا المسنونة بها بعضها مثلاً: « يبارك الاسقف المرسوم بركةً كالآتية (εὐλογείτω...εὐλογίαν...τοιάνδε) » ذلك عند صلاة الموعوظين. وعند صلاة التائبين: « ويصلي الاسقف صلاة كهذه (ἐπευχέσθω δὲ ὁ ἐπίσκοπος τοιάδε) وكذلك في السفر الساجع منهُ عند صلاة الموعوظين وعند تكريس الزيت وتكريس الماء الخ. وفي اعطاء سرّ التثبيت: « يتلى على الماء فقط دعاء كهذا تقريباً » τοιαύτην τινὰ (ἐπίκλησις)... καταβαίνει (راجع بريتمان: المقدمة ص ٢٢)

التآليف الافرادية؟ وهذا لا ينطبق البتة على القول بان الكنيسة كانت تعلّم وتعتقد بوجود ليتورجية رسمية رسولية مدوّنة بالهام الروح القدس

وخلاصة ما بيّناهُ: ١ ان خبر نسبة ليتورجية القديس يعقوب اليه لم يسبق اواخر القرن السابع وغاية ما كُتب منذ انتشار المسيحية الى هذا الاوان لا يوافق هذا الخبر البتّة. ٢ انهُ ما خُطّت قطّ ليتورجية وما سمحت الكنيسة قط بذلك قبل القرن الخامس. ٣ ان النصّ الليتورجي لم يكن مقيّدًا لفظًا قبل تسطير الليتورجيّات فالنتيجة ان الليتورجية المعروفة باسم يعقوب الرسول والمنسوبة اليه ليست له

فما هي اذًا؟ ومن نصّها؟ ومن خطّها؟

لا نعرف سوى انها ليتورجية اورشليم القديمة انتهت الينا بالتقليد كسائر الليتورجيّات فاستلمها الاساقفة الواحد من الآخر مشافهةً وتلقّت تغييرات كثيرة الى حين تدوينها بالكتابة بالنصّ الذي وصل الينا مع اضافات وتغييرات شتّى حسب الزمان والمكان كما سبق شرحهُ. وهي كسائر الليتورجيّات رسولية بصفتها وترتيبها الجوهري ومعانيها وغير رسولية بالفاظها وباقي التراتيب الثانويّة. وهذه حالة جميع الليتورجيّات سيّما القديمة فانها كلها من التقليد الرسولي وجوهرها واحد وترتيبها واحد لكنّ لكلٍّ منها أعراضًا محلّيّة تختلف بها عن سواها. واما نسبة الليتورجية التي نحن بصددها الى يعقوب الرسول فليست بغريبة. فمن المقرّر ان هذا الرسول كان اول الاساقفة على المدينة الاورشليمية. وقال بعضهم انها تشخّص التقاليد المسلّمة من هذا الرسول الى كنيسته فيكون على كل حال ان ترتيبها الجوهري له ولو ان نصّها لغيره (١ كما ان كلاً من الـ... متمّ الى البلاد التي بشّر فيها باسم المسيح يسوع

١) ولنا على هذا القول اعتراض نرى حلّهُ من الامور العسرة فنستلفت اليه انظار العلماء وهو ان سلسلة تقاليد كنيسة اورشليم الرسوليّة اعني المصدّرة من يعقوب الرسول رأسًا قد انقطعت بتمامها مع هرب مسيحيي تلك المدينة من بعد استشهاد اوّل اساقفتها بقليل واتيان عنصر جديد اليها مؤلف من امم مسيحيين مع اساقفتهم واكليرسهم. فان يعقوب الرسول استشهد سنة ٦٠ للميلاد. وفي سنة ٧٠ غادر المسيحيون المدينة المقدّسة اورشليم تبعًا لنبوّة المسيح (متى ٢٤: ٢٨ ومرقس ١٣: ١٤) ولزوا بعض الاشخاص الصديقين وعمّوا مع اسقفهم مدينة بيلا (Pella) وولي الكرسي الاورشليمي الرسولي هذا خمسة عشر اسقفًا منهم تسعة من ذوي الختانة. ولمّا جدّد بناءها ادريانس دعاها ايليا كابيتولينا. فاصبح سكان اورشليم الجديدة من عناصر شتّى ما عدا

فضلًا عن ان اكثر الليتورجيات والكتب التقويّة التي كُتبت في ذلك الزمن كان ينسبها مؤلفوها الى الرسل لتظهر في اعين الشعب اوفر قوّة واشدّ برهانًا او كان الشعب نفسهُ ينسبها اليهم لتعلقهِ بها (١ . وفي هذه النسبة خطأ تاريخي عظيم ولكنهُ لم يعسر على الانتقاد العلمي اكتشافهُ ورفضهُ . اما بخصوص بعض الليتورجيات كليتورجيّة الكرسي الروماني وليتورجيّة الكرسي الاسكندري وليتورجية الكرسي الانطاكي فلنسبتها الى الرسل وجه من الحق بمعنى ان هذه الليتورجيات تمثل ولا بدّ تقاليد رسولية كما اشرنا وان لم تتضمّن نصًا من مصدر رسولي

ومنهم من نسب ليتورجية القديس يعقوب الى احد اساقفة اورشليم المدعوين بالاسم ذاتهِ (اي يعقوب) والملقّبين بالرسل (٢ . والارجح والاقرب للعقل هو انهُ كما نُسبت

اليهودي واغلبها النصران اليوناني والروماني ومن جملتهم قسم من المسحيين اليونانيين تحت رئاسة اسقفهم مرقس . وهو اوّل من تسلم الحظيرة الاورشليميّة من بعد الاساقفة الذين من الختان سنة ١٣٨ ميلادية . وكان يونانيًا وكذلك تبعتهُ الذين خلفوهُ فاضم كانوا يونانيين . وقد تمّ هذا في حياة اخر الاساقفة الذين ساسوا الكنيسة الاورشليمية الاولى المتجئة الى مدينة پيلّا (راجع اوسابيوس : التاريخ الكنسي ك ٣ ف ٥ و ك ٤ ف ٦) فترى مما سبق اولًا ان كنيسة اورشليم اليعقوبية (اذا صحّ استعمال هذه الكلمة بغير معناها الاعتيادي) قد خرجت من اورشليم سنة ٧٠ وحيا مصباحها في پيلّا مع اخر الاساقفة الذين من الختانة . ثانيًا ان كنيسة جديدة اتت من الخارج باسقفها واكليروسها وشعبها وحلّت محلّها (راجع معجم موروني : لفظة اورشليم) ونعرف ثالثًا ان كنيسة اورشليم هذه اصبحت تحت رعاية رئيس اساقفة قيصريّة فلسطين الذي كان خاضعًا للبطريرك الانطاكي . فاذا صحّ القول بان الكنائس الصغرى كانت تستمدُّ من الكنائس الكبرى والكنائس المرؤوسة من الكنائس السائدة الايمانَ والتهذيب والطقوس معًا فقد افتتح لنا باب جديد لدرس مصدر الليتورجيّة الاورشليميّة نكتفي الان بالاشارة اليهِ

١) هكذا كتاب تعليم الرسل المارّ ذكره وكتاب ارشادات الرسل وكتاب مراسيم الرسل والاناجيل والعهود المزوّرة وعدد كبير من الليتورجيّات النربانيّة فهذه منها ما نُسب الى القديس بطرس ومنها الى القديس لوقا الانجيلي ومنها الى الرسل الاثني عشر . ومنها ما نُسب الى اقدم الآباء القديسين او اشهرهم علمًا كاكليمنضس اسقف رومة وغريغوريوس النزينزي والذهبي الفم واغناطيوس النوري ثالث اساقفة على انطاكية . ومنها اثنان للقديس يعقوب نفسهِ الى آخر ما هنالك مما يقف على الستين ليتورجيّة . كلها ما خلا اناقورا ليتورجيتي يعقوب الرسول الطويلة وباسيليوس العظيم من تآليف اناس هراطقة

٢) راجع معجم موروني : لفظة يعقوب

طقوس مديولانُم (الطقس الامبروسياني) الى القديس امبروسيوس لشهر اساقفة هذه المدينة ونُسبت الحان الترتيل الكنسي اللاتيني الى غريغوريوس العظيم ونُسبت ليتورجية القسطنطينيَّة نفسها الى القديس يوحنَّا فم الذهب اعظم اساقفتها هكذا نُسبت هذه الليتورجية جهلًا او عمدًا الى يعقوب الرسول اخي الرب لقدمها وانتشارها في الكنيسة الاورشليمية - وربَّما نسبتها هذه نشأت من ادّعاء اساقفة اورشليم ولاسيما يوحنَّا ويوفناليس في اوَّل جزء من القرن الخامس برسولية كنيستهم وتقاليدها وايمانها ليحرّروها من سيطرة البطاركة الانطاكيين وينادوا بها كرسيًّا متروبوليتيًّا ثمَّ بطريركيًّا كما تمَّ ذلك فعلًا

وعلى كل فان ليتورجية يعقوب كيف كان الحال هي اقدم الليتورجيات المعروفة التي وصل نصُّها الينا اللهمَّ الَّا الليتورجية الاكليمنتيَّة التي جاءت في آخر كتاب مراسيم الرسل

امثال العوامّ في الشهور وفصول العام

للشيخ الاديب انطون افندي جميّل (تتمَّة)

﴿ ايَّار ﴾

في هذا الشهر تتفتَّح الازهار وتبرز الدنيا بحلَّتها الربيعيَّة فيقولون:

٤٩ نوَّار نور الدنيا

٥٠ نوار شهر الازهار

٥١ اقعد بظي الورد وتذكَّر ليالي البرد

وللعامَّة غناء يتناشدونهُ على الحان مختلفة في وصف الزهور: جاء عن لسان الورد:

٥٢ انـا الورد سيد كل الزهر شوكي سلاحي اخذت رتبتي بالقهر
بغيب عليكم سنه بحضر عليكم شهر وعويتي في قماشكم طول الدهر

وجاء عن لسان البنفسج:

يقول البنفسج انا ازرق الزرقان مرقي رُقَّع اصابعي كا الحيطان
روح يا ورد يا ذبلان يا نسان لوكان فيك خير ما شكلتك نسوان

وعن لسان النرجس: